التاريخي في التقدم . ومع كل ارتقاء لمستوى الصراع بين هذين النقيضين يزداد عنفا ، وصعودا ، ووعورة وتعقيدا حتى تتغلب قوى التقدم وتنهار القوى الرجعية .

ولقد بدأت الامة العربية مرحلة نهوضها القومي في تناقض مع الغزو الاجنبي الاستعماري الذي حرص على تقسيمها سياسيا وتنمية مظاهر الانعزال الاقليمية الاجتماعية والاقتصادية ومع ذلك لم تهدأ جماهير هذه الامة ولم تتوقف أبدا عن النضال ضد هذا الغزو . ومع تطور الظروف العالمية ، وتصاعد نضال حركات التحرر الوطني ، ومن بينها حركة التحرر العربية ، أرسى الاستعمار قاعدة استعمارية على أرض فلسطين ، اتسمت بخصائص أكثر بربرية وعنفا من أي شكل آخر معروف للاستعمار . « فاسرائيل » ليست مجرد احتلال ولا استعمار كذلك القائم مثلا في جنوب افريقيا او روديسيا أو الذي كان قائما في الجزائر . انها غزو استيطاني قائم على الاغتصاب وطرد سكان البلاد الاصليين منها ، هي في هذا الاولى من نوعها في العصر الحديث ، كما ان «اسرائيل» اقيمت لكي تمنع، او على الاقل تعرقل، التطور التاريخي المنتظر للامة العربية نحو التحرر والوحدة بالاضافة الى قيامها على اسس فكرية عرقية متعصبة (عنصرية) أي أنها في ذات الوقت تشكل غزوا نفسيا واقتصاديا وعسكريا للامة العربية كلها ، وهي في هذا أيضا الاولى من نوعها . ثم هي أيضا تمثل رأس رمح المجتمع الصناعي المتقدم في قلب عالم البلاد الزراعية الفقيرة ، حيث يتشكل تركيبها البشري والقيادي أساسا من فئات نشأت وقدمت وتعيش في نفس البيئة ، والعلاقات الاجتماعية التي تعيش فيها بلاد العالم الصناعي الغني وتستثمر رؤوس أمواله وخبراته التقنية وهي في ذلك تمثل الجسر الذي تحاول قوى العالم الاستعماري العبور عليه الى آسيا وافريقيا .

هذا هو النقيض ، المطلوب ازالته ، والحتمي الزوال تاريخيا .

من هذا النقيض اكتسب النضال الفلسطيني أبعادا ثلاثة ، وهي دوائر ثلاث داخل بعضها : بعد وطني ، وبعد قومي ، وبعد أممي . بعد وطني باعثه الارض المغتصبة ، وبعد قومي مصدره العدوان على الامة كلها ، وبعد أممي في مواجهة استعمار عالمي وتسلط تقني غني . ولانها نقيض لما هو موضوعي (أي خارج ارادات الافراد ورغباتهم) فهي بلا شك أبعاد موضوعية تحكم مسار الحركة التاريخية وتبحث دوما عن بعد لها في نشاطات الافراد اليومية والمرحلية . هذه الابعاد الثلاثة تطبع مسار النضال الفلسطيني التاريخي بطابعها ، وهي جميعا في الوقت نفسه تقع تاريخيا ضمن المسار التاريخي لحركة التحرر القومية العربية ، او هي بالدقة محور هذه الحركة . كما أنها، وان تكن متداخلة ، ولا يمكن الفصل بينها ، الا أن حقيقة ان الارض مغتصبة والشعب مطرود منها جعلت ، وكان لا بد من ذلك ، السنوات الاولى تتخذ في الممارسات اليومية طابعا وطنيا(٧) سرعان ما اتسع ونما واكتسب الطابع القومي مع تصاعد الصدام مع العدو ، واتساع رقعته الفعلية خصوصا بعد حرب ١٩٦٧ . كما أن حداثة عهد النضال في الاتجاه الصحيح لم يمنع من ظهور بواكير « صدامية » تحمل طابعا أمميا حيث شارك مناضلون من غير العرب في الثورة المسلحة ، كما دارت بعض المعارك على أرض بلاد استعمارية وفي تحد مباشر لها .

ويترتب على رؤية المسار التاريخي للامة العربية (حتمية نهوضها وتحررها ووحدتها القومية) وللثورة الفلسطينية (محورا للنضال العربي القومي) من خلال هذه الابعاد الثلاثة (وهي أعماق موضوعية تاريخية) تترتب على ذلك امور كبيرة ، فضلا عن أن هذه الرؤية تسهل على المؤرخين « تصنيف » الاحداث اليومية والمرحلية (مع الحركة التاريخية او ضدها) فانها تسهل أيضا معرفة صحة توقيت الحدث المعين ومدى تطابقه مع الضرورة الموضوعية في اللحظة المعينة (فعل ناضج او متأخر او سابق لاوانه حسب